

## هدى للمتقين

استكمالا للمقالين السابقين "حنيفا مسلما" و "النبي الأمي"

قال تعالى: "ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين"

يقول الشيخ محمد سيد طنطاوى رحمه الله فى التفسير الوسيط:

المتقون جمع متق اسم فاعل من اتقى من وقى الشئ وقاية أى صانه وحفظه مما يضره ويؤذيه والمعنى أنه هداية وإرشاد للمتقين الذين يجتنبون كل مكروه من قول وفعل حتى يصونوا أنفسهم عما يضرها ويؤذيها

انتهى كلام الشيخ، وأنا أظن أن معنى التقوى فى القرآن هو حفظ النفس من عذاب الله وذلك بفعل ما يرضيه وترك ما يبغضه

وقال تعالى: "يضل به كثيرا ويهدى به كثيرا وما يضل به إلا الفاسقين"

والفسق هو الخروج عن طاعة الله

ومن هنا يتضح أن القرآن الكريم الذى هو كلام الله

يهدى المتقين ويضل الفاسقين

أى أن الإنسان الذى يتبع فطرته السليمة التى ألهمه الله بها فسوف ينتفع بهداية القرآن زيادة على هداه الأسمى الذى اختاره لنفسه

أما الإنسان الذى يتبع هوى نفسه الخبيثة فسوف يضلّه القرآن زيادة على ضلاله الأسمى الذى اختاره لنفسه

أى أن الاستفادة بالقرآن لا بد أن تأتى كخطوة ثانية بعد الخطوة الأولى التى هى اتباع الفطرة التى ألهم الله الإنسان بها

أى أن المصدر الأول للعلم هو الإلهام الذى وضعه الله فى النفس البشرية بقوله تعالى: "فألهمها فجورها وتقواها"

أى أن الإنسان يعرف بالإلهام من الله سبل التقوى التى هى فعل ما يرضى الله لتجنب عذابه

ولما يفعل ذلك ويصبح من المتقين ثم تختلط عليه بعض الأمور ويواجه بعض الصعوبات وسوء الفهم يأتى القرآن ليهديه

بقوله تعالى: "ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين"

يهديه إلى الطريق الذى ينبغى أن يسلكه فى حياته لينال رضا الله تعالى

قال تعالى: "قل إننى هدانى ربي إلى صراط مستقيم دينا قيما ملة إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين \* قل إن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين \* لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين"

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

"إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه"

وهذا هو المعنى الأصلى لكلمة الإسلام:

قال تعالى: "ومن أحسن دينا ممن أسلم وجهه لله وهو محسن واتبع ملة إبراهيم حنيفا واتخذ الله إبراهيم خليلا"

أى الذى قرر ونوى وقصد أن يسير فى الطريق الذى يرضى الله تعالى وكأنه يرى الله فى نهاية طريقه

فإن الله يهديه لهذا الطريق

وهذا هو المعنى الذى أظنه فى قول الرسول "وإنما لكل امرئ ما نوى" أى أن الله يهديه إلى الطريق المستقيم الذى يرضيه

إذا أراد الإنسان أن يسير فيه من البداية

وأظن أن معنى "إنما الأعمال بالنيات" أن الله يهديه إلى صالح الأعمال، التى هى بمثابة الطريق إلى رضا الله

فيكون التقدير: إنما يهدى الله الإنسان للأعمال الصالحة بناء على صلاح نية الإنسان

ويضلّ الله الإنسان بأن يعمل أعمالا فاسدة بناء على فساد نية الإنسان

ومن هنا يمكن الرجوع إلى اللغز الذى كنت أتأوله فى الفترة السابقة

إذا كان القرآن الكريم يهدى المتقين ويضلّ الفاسقين

فإن التوراة تهدي المتقين وتضلّ الفاسقين

والإنجيل يهدى المتقين ويضلّ الفاسقين

وضلال الفاسقين من كل فرقة يختلف عن ضلال الفاسقين من الفرقتين الآخرين

ففى قوله تعالى: "يا أهل الكتاب لم تحاجون فى إبراهيم وما أنزلت التوراة والإنجيل إلا من بعده أفلا تعقلون"

قد يكون معناه إن منهج إبراهيم عليه السلام لا يمكن أن يكون قد تأثر بضلال مثل ضلال بعض الفاسقين من اليهود والنصارى الذين أضلتهم التوراة والإنجيل بسبب فسقهم، لأن التوراة والإنجيل لم تكن قد نزلت بعد

ولكن بالتأكيد فإن التوراة والإنجيل بفهمها الحقيقى تؤكد على منهج إبراهيم عليه السلام وتهدى من اختاره

تبقى هنا مسألة أخيرة متعلقة ببعض ما ذكرته سابقا

معجزة القرآن الحقيقية التى لا يضاهيه فيه أى كتاب آخر هو أنه يهدى المتقين ويضل الفاسقين

ولهذا فكل إنسان سليم الفطرة محب للخير يهتدى بالقرآن

وهذه المعجزة لا يضاهيه فيها أى كتاب آخر، عدا الكتب السماوية مثل التوراة والإنجيل

إلا أن التوراة والإنجيل مكتوبة بلغات لم تعد مستخدمة

وحتى المتخصصين يجدون صعوبة فى معرفة المعنى الدقيق للنص الأسمى

والأستاذ توفيق عكاشة حفظه الله يحذّر من ترجمة القرآن لأن الترجمة غالبا ما تغير المعنى الحقيقى

ويفضّل تعليم اللغة العربية للمسلمين الأجانب عن ترجمة القرآن

فعلى سبيل المثال، كيف نترجم كلمة "حنيفا"؟

نرجع للمسألة: بعض المشايخ يقولون إن محمدا عليه الصلاة والسلام لم يكن يعرف القراءة والكتابة

لأنه لو كان يعرفها لاتهمه المشركون بأنه كتب القرآن من عند نفسه

وهذا الكلام خطأ جسيم

فهل من يعرف القراءة والكتابة يستطيع أن يأتى بمثل هذا القرآن من عند نفسه؟ كلا والله

قال تعالى: "قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا"

إن من يقرأ القرآن يعلم أنه من عند الله، وتبقى شبهة واحدة فقط أثارها بعض اليهود فى زمن الرسول

قالوا إن القرآن هو ترجمة عربية لبعض ما جاء فى التوراة والإنجيل، ولذلك بدأ أنه من عند الله وقد رد الله تعالى على هذا الكلام قال تعالى: "وما كنت تتلو قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذا لارتاب المبطلون"

والمقصود هنا فيما أظن: كتاب سماوى مثل التوراة والإنجيل

وقال تعالى: "ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر لسان الذين يلحدون إليه أعجمى وهذا لسان عربى مبين"

والمقصود هنا فيما أظن: يعلمه التوراة أو الإنجيل

فالرسول محمد صلى الله عليه وسلم كان أميا بمعنى أنه لا يعرف قراءة وكتابة اللغات التى كتب بها التوراة والإنجيل

والقول أنه كان أميا لا يعرف القراءة خطأ جسيم لأنه كان يقرأ القرآن فى كل صلاة والقراءة هى الفهم والاستيعاب ولا يشترط أن تكون قراءة من مكتوب على الورق، فقد تكون قراءة من محفوظ فى الصدر

وأما القول بأنه كان أميا لا يستطيع الكتابة أو قراءة ما هو مكتوب فهذا القول خطأ لأنه انتقاص من الرسول

ولا يوجد أى دليل على هذا الكلام وما جاء فى الأحاديث مثل كلمة "أرنيها" لا يمكن أن تكون دليلا لأنه قد يكون قصد "هاتها"

كما أنه كان يدير تجارة السيدة خديجة قبل بعثته ولا يستطيع ذلك فيما أظن إذا لم يكن يعرف الكتابة ولما قال له جبريل عليه السلام "اقرأ" فقال "ما أنا بقارئ" معنى ذلك أنه لا يحفظ شيئا من التوراة والإنجيل ليقرأه

لأن بالتأكيد لم يعطه جبريل عليه السلام ورقة مكتوبة ليقرأها! لم ينزل القرآن مكتوبا

وعلى العموم فإن البحث فى مسألة هل كان الرسول يستطيع الكتابة وقراءة ما هو مكتوب

لا يفيد بأى شىء من وجهة نظرى، وأظن أن الداعية الأستاذ محمد هداية حفظه الله قال مثل هذا الرأى

وأما بعض العرب الذين قالوا إن هذا القرآن ليس من عند الله، برروا أثره العظيم فى النفس ووفى هداية المتقين لشيئين: أن محمدا عليه الصلاة والسلام شاعر أو كاهن والعياذ بالله

قال تعالى: "وما هو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون"

ومعنى ذلك فيما أظن أن تأثير الشاعر فى النفس يأتى من إدراجه لمبالغات غير حقيقية تعطى أثرا فى النفس إلا أن الإنسان يعلم جيدا أن تلك المبالغات غير حقيقية ولا يؤمن بها

وقال تعالى: "ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون"

ومعنى ذلك فيما أظن أن الكاهن يقول كلاما كثيرا ليس له معنى، مسجوعا وموسيقيا يتضمن بعض التنبؤات العامة التى سوف تحدث حتما لشخص ما فى مكان ما، يؤثر فى النفس لغرابته وللرهبة التى يضيفها الكاهن، وهذا الكلام ليس له معنى فلا يستطيع الإنسان حفظه أو تذكره للانتفاع به وقت الحاجة، وحتى هذه التنبؤات ليس لها فائدة يتذكرها الإنسان لينتفع بها فى حياته وقت الحاجة

وأما القرآن فإنه يأتى بالصدق المحض، والقصص والقيم النافعة المفيدة التى يتذكرها الناس ليهتدوا بها فى حياتهم

كلام الله هو أحسن الحديث، وهو خير الهدى، يهدى المتقين ويضل الفاسقين

والله ولىّ التوفيق

والله تعالى أعلم.

أمين علام 9 يوليو 2020